الشبهة الخامسة عشرة
ضياع خمسمائة خطبة نبوية ؟ !

هذه شبهة جديدة أملاها الشيطان على بعض منكرى السنة المعاصرين، ثم أخذ الآخرون يرددونها ويهولون من شأنها ظانين أنهم اكتشفوا معول هدم للسنة لم يعرفه من قبلهم أحد .

ومن صور التهويل عنوان طالعتنا به مجلة (روز اليوسف) فى منتصف عمود من مقال لواحد من منكرى السنة المعاصرين، والعنوان كتب بشكل بارز لافت للنظر، وهو : « التدوين الباطل استبعد ٥٠٠ خطبة للنبى ﷺ لأسباب سياسية ؟!

والنظر العابر فى هذا الكلام يريك أن منكرى السنة وظفوا هذه الشبهة للاستدلال على أن رواية الحديث النبوى ينبغى أن لا يثق فيها أحد، فقد كان تدوينها باطلاً . بدليل أنه لم يرو لنا خطبة واحدة من خطب النبى التى ألقاها فى المسلمين ؟!

فليس المقصود عند هؤلاء الماكرين مكر السوء أن يعاد النظر فى الحديث النبوى (غربلته) للتمييز بين الصحيح وغير الصحيح من الأحاديث المدونة – الآن – فى كتب الحديث المعتمدة عند الأمة، ليس هذا هو المراد، ولن يكون، بل مرادهم هو الحكم على جميع الأحاديث بالزيف والافتراء .

فقد زعم كاتب روز اليوسف أن التدوين باطل أصلاً، عرفوا هم هذا البطلان من خلال فرز ثان قاموا به بعد الفرز الأول لعلماء الحديث رواية ودراية .

ثم يتمادى فى الوهم، ويدعى أن سبب استبعاد ألـ ٥٠٠ خطبة النبوية كان لأسباب سياسية نجمت فى عصر تدوين الحديث، يعنى عصر رجال القرن الثالث

ومنهم الإمامان البخارى ومسلم ويقول: لأن تلك الخطب المستبعدة كانت ضد نظم الحكم فى الدولة العباسية. فما كان من الأمراء إلا أن أغروا رواة الحديث على استبعاد تلك الخطب الخمسمائة عن التدوين؟! (ينظر روز اليوسف ١٠/٤/١٩٩٩ م).

طبعا، منكرو السنة سعداء جداً بهذا الاختراع، الذى لم يسبقهم إليه أحد على مدى التاريخ الإسلامى كله.

وسعداء أكثر لأنهم فهموا أنهم أوقعوا نصراء السنة فى حرج شديد وسدوا عليهم منافذ الدفاع، وحبسوا فى خندق حاجب للرؤية عازل للصوت. خانق للأنفاس.

ولم يدركوا أنهم هم الذين هووا إلى الحضيض، ولفوا حول أعناقهم حبل الخزى، ووضعوا فوق رءوسهم تاج الجهل. وهم لا يشعرون أولا يعقلون.

تفنيد هذه الشبهة ونقضها :

أنصار الباطل حين ينتشون باستنشاق رائحة الباطل الخبيثة تأخذهم حالة من الغيبوبة، فلا يدرون ماذا يقولون، وإذا قالوا وقعوا فى (الهجر) وأضحكوا عليهم ومنهم طوب الأرض.

وهذه الشبهة واحدة من أفضح فضائحهم على الإطلاق، وإن ظنوا أنهم فيها عباقرة ومغاوير.

ولعل القارئ يتساءل: من أين لهم هذه الإحصائية (٥٠٠ خطبة) هم لم يقولوا من أين لهم ذلك، لكن المتبادر إلى الذهن أنهم قدَّروا خطب الجمعة التى كان يلقيها النبى ﷺ بالمدينة المنورة بعد الهجرة (عشر سنوات) بواقع السنة فى تقديرهم خمسون خطبة ونحن لا يدخل فى حسابنا عدد الخطب وكيفية إحصائها، ولكن الذى نركز عليه بيان الجهل المركب عندهم فرداً وجماعة، لأن الجهل ملازم لهم فى إنكارهم للسنة، ملازمة الظل لمصدره.

أما مواجهتنا لهم فى هذه الشبهة فتقوم على المحاور الآتية :

الأول : ونبدأ بتمهيد يتولد عنه سؤال :

التمهيد : إن الطريق الوحيد لمعرفتنا بسنة رسول الله ﷺ هو التدوين والرواية . فما دُوِّن فيها هو المعروف عندنا ولا طريق لنا لمعرفة ما لم يُدوَّن إن كان لم يُدَوَّن منها شئ .

هذه حقيقة لا ينكرها أحد ، ولا منكرو السنة ينكرونها بداهة .

السؤال : فمن أين إذن عرف منكرو السنة أن سبب استبعاد خطب النبى الـ (٥٠٠) هو أن تلك الخطب كانت تتناقض مع نظم الحكم التى كانت سائدة فى عصر التدوين .

إنهم يدعون أن تلك الخطب لم تُدوَّن ، يعنى حجبت بألفاظها ومعانيها عن رؤية النور .

سلمنا لكم جدلاً – بهذا الإدعاء – ولكن الذى نريده منكم أن توضحوا لنا من أين ، وعلى أى أساس حكمتم على الخطب التى لم تدون بأنها كانت تناهض نظم الحكم؟

هل اطلعتم عليها؟ إن كنتم اطلعتم عليها الآن (القرن الخامس عشر الهجرى) فهى إذن مدَوَّنة فتسقط دعواكم (الساقطة) بطبيعتها .

وإذا لم تكونوا قد اطلعتم عليها جاريناكم جدلاً أنها لم تدون وسألناكم هل أنتم تعلمون الغيب ، لذلك وصفتم بألسنتكم ما لم تره أعينكم ، ولم تسمعه آذانكم .

إنكم محاطون بالخيبة والخزى كيفما كان جوابكم على ما طرحناه عليكم من أسئلة .

إن الحكم على الشئ فرع عن تصوره ، هذه قاعدة من قواعد العقل المسلَّمة عند كل العقلاء .

فإما أن تقروا بتدوين هذه الخطب فيسقط أصل دعواكم وإما أن تقروا بعدم اطلاعكم عليها فيسقط سبب دعواكم فماذا أنتم قائلون؟.

ألستم معنا أن هذه فضيحة، من أفضح فضائحكم، أيها البهاليل العظام؟

الثانى: خطب الرسول لم تستبعد عن التدوين:

إن ما أخذناه عليكم فى المحور الأول هو ثلمة فى العقل، أعنى أنكم أوتيتم من قِبَل عقولكم، فكان خزى الخلل مضروبا عليكم من كل جهة.

أما ما نأخذه عليكم فى هذا المحور (الثانى) فسببه الجهل بموضوع النزاع وهو خطب الرسول ﷺ. أنتم تقولون أنها لم تدوَّن بسبب رفض الأمراء لها، وطاعة العلماء لهم فى هذا الرفض ونحن نقول: هذه فرية فيها من الرعونة، ما يحجب ضوء الشمس ونور القمر. وأقبح الجهل ما كان أرعن.

مصادر جمع وتدوين خطب الرسول ﷺ

ليس من حق الجاهل بأمر أن يجعل جهله هو الفاصل فى حقيقة ذلك الأمر، وهذا ما وقع فيه منكرو السنة المعاصرون. فإن جهلهم بتدوين خطب الرسول حملهم على القول الشنيع الذى تقدم، وهو أن أكثر من خمسمائة خطبة نبوية لم يدونها رواة الحديث بأمر من حكام عصر التدوين، لأن تلك الخطب ضد أنظمة الحكم التى كانت سائدة فى عصر التدوين.

وهذا ادعاء كاذب بكل تصوراته، فقد شمل التدوين الأمين خطب رسول الله ﷺ منذ جمعت السنة مع مطلع القرن الثانى الهجرى.

ولها الآن وجودان:

الأول: تدوين خطب النبى تدوينا مفرقا ومبثوثا فى كتب الحديث والسيرة والتاريخ، وبعض كتب الإعجاز القرآنى. وهذا هو المصدر الأول للوقوف على خطبه عليه الصلاة والسلام.

الثانى: فى العصر الحديث قام اثنان من علماء تونس بجمع خطب النبى فى مصنفين متداولين.

الأول: للشيخ محمد خليل الخطيب بعنوان (إتحاف الآنام بخطب رسول الإسلام).

والثانى: وهو رسالة علمية جامعية بعنوان (خطب الرسول ﷺ) جمعها وتبويبها ودراستها للدكتور عمر القطيطى التونسى.

وقد حرص على جمع تلك الخطب، وتوثيقها علميا ببيان المراجع التى ذكرتها، وحققها تحقيقا ممتازا، وقام بتبويبها تبويبا فنيا منتظما. ثم وضع عليها دراسة فقهية وبلاغية لم يسبقه إليها أحد، وتقع فى أكثر من ستين ومائتى صفحة من القطع المتوسط. ولم يقتصر على جمع خطب الجمعة، بل شمل عمله الخطب التى قالها رسول الله ﷺ فى المناسبات المختلفة. كالعيدين، والخسوف والكسوف.

وذكر المؤلف إمارات التمييز بين الخطب والأحاديث النبوية المجردة:

مثل: يا أيها الناس – وكان على المنبر، حمد الله وأثنى عليه ثم قال – كان رسول الله يخطب – كان على الصفا – كان على القصواء إلخ ..... إلخ.

هذا ما جهله منكرو السنة، الذين جعلوا من جهلهم إماما يأتمون به ؟!.

فماذا يقولون بعد هذه الحقائق الناصعة؟، هل ما يزالون يدعون أن خطبًا خمسمائة أهملها التدوين الباطل لأسباب سياسية قاتل الله اللجاج. فإنه يورث أهله المهالك.

الثالث: ولجهلهم بمنهج البيان النبوى دَخْلٌ من جهة أخرى ورطهم فى هذه الفضيحة الفاضحة:

لقد فهموا أن الرسول مثل خطباء العصر، يرقى المنبر فلا تقل مدة الخطبه الواحدة عن نصف الساعة، وقد تصل الساعة الكاملة ولما لم يجدوا هذا النوع فى

كتب الحديث وغيرها قالوا: أن خطبه عليه السلام أضاعها التدوين الباطل لأسباب سياسية.

هذه مواجهة قصيرة لما أثاره منكرو السنة فى هذه الشبهة مواجهة حاسمة، قاطعة لدابر افتراءاتهم، ونحن لا يهمنا أن يظل منكرو السنة بعد ذلك على مواقفهم المعادية لله ولرسوله الكريم أو يثوبوا إلى رشدهم، فهم أحرار فى ما يعتقدون. ولكن الذى يهمنا أن نكشف للعامة ولشباب الأمة جهل وعناد هؤلاء المكابرين، أعداء الإسلام، وأعداء الأمة، والله من ورائهم محيط. ولن يغلب باطلهم حقه. والله هو الغالب على أمره فى الدنيا والآخرة.

* * *